العرب
الجمعة 2021/04/23
السنة 43 العدد 12039

# الكوميديا «بنت الجارية» في الدراما العربية

## النظرة الاستعلائية لفن الإضحاك تشمل الجمهور والنقاد

ناصر القصبي يواصل نقده اللاذع للظواهر السلبية في «ممنوع التجول»

هنـاك نظرة دونيـة للنقاد تجاه الكوميديـا الرمضانية مقارنـة بنظيرتها الاجتماعية والدرامية، والحال أن فن التمثيل اسـتمد اسمه من الكوميديا، أصـلا، فهل يعود ذلك إلـى كون فن الكوميديا لم يتطـوّر، أم هي النظرة استعلائية للنقاد تجاه فن يعدّونه هجينا وسطحيا؟

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

متصفحـو الإنترنت مـن المهتمين بالكوميديـا والباحثين في برمجة هذا الموسـم الرمضاني عن وجبات مرحة وسـاخرة تنسـيهم هذا التجهّم العام، الذي سببته جائحة كورونا وارتداداتها النفسـية والاقتصاديـة والاجتماعية، يصابون بنوع من خيبة المسعى، وذلك لأسباب عديدة.

أولهـا أنّ أكثر من دليـل إلكتروني أو ورقي (كاتالوغ) يُسـقط من محتواه الأعمـال الكوميديـة ويولـي الاهتمام للأعمال الدرامية سواء كانت اجتماعية أو بوليسية أو رومانسية أو حتى على شـكل ملاحم وطنيـة، وكأن الكوميديا ضـرب من "تمييـع القضيـة" كما كان يردّد ثوريو القرن الماضي.

### رفض شعبي

فـي حـال أتـت هـذه المواقـع الإلكترونيـة علـى ذكـر المسلسـلات الكوميديـة فإنهـا تمـر عليهـا مرور الكـرام وتجعلها تتذيّـل قوائم الأعمال المبرمجـة، وبشـكل باهـت دون ذكـر تفاصيل أو حتى عـرض للمحتوى، زد علـى ذلـك أن النقاد الفنييـن لا يولون

> **بعض الناس لا يحبون لنجومهم المفضلين أن ينخرطوا في عمل كوميدي، ويعتبرون ذلك «حطّا» من قيمتهم الفنية**

الكوميديا الاهتمـام الذي يخصّصونه للدراما، وكأنها "بنت الجارية".

وليـس من النباهـة أو الوجاهة أن يخصّص معظم هـؤلاء وقتهم للحديث عن نمـط تمثيلي يعتبرونـه زائدا عن الحاجة، حتى أن بعض الناس لا يحبون لنجومهـم المفضليـن أن ينخرطوا في عمـل كوميدي، ويعتبـرون ذلك "حطّا" من القيمة الفنية لأبطالهم، فالأجدر بهم أن ينازلوا الأعداء في ساحات المعارك أو يخطفوا قلوب المتيمات أو يسـيلوا دموع المتعاطفين والمتعاطفات.. المهم ألا يظهـروا فـي هيئـة أنـاس مثيرين للضحك.

ولعـلّ الفنـان الوحيد الـذي أعطى للكوميديا رونقها وأكسبها جماهيريتها هو عـادل إمام، الذي غاب عن المشـهد فـي رمضان هـذا العـام، ويعـود ذلك إلـى أن الكوميديا لديـه حاملة لقضايا اجتماعيـة وسياسـية بنفـس يُعـرف بـ"التراجيكوميـدي" فسـدّ الذرائـع والأبـواب ولم يتـرك فرصـة لانتقاده، وذلك في تركيبة تشـبه إلـى حد ما، ما فعله الأرسـتقراطي يوسـف وهبي، في منتصف القرن الماضي.

مـا زال نجوم الكوميديـا في العالم العربـي يثيـرون الضحـك والسـرور فـي السـر، والاسـتهتار والتجاهل في العلـن، وذلك ضمن النموذج الذي سـاد في أفلام منتصف القـرن الماضي حين كان شـخص الباشا يلاطف الكوميديان والمونولوجيسـت فـي سـهراته، لكنه يغضب غضبا شديدا حين يتجرّأ الأخير على طلب يد ابنته.

هـذا التهميـش الواضـح لفـن الكوميديـا فـي العالـم العربـي، والاسـتهتار بمـن يشـتغل فيـه كتابة وتمثيـلا وإخراجا، ضارب في الموروث الثقافـي للمنطقـة، وله أكثر من سـبب ذاتي نفساني، وموضوعي شبه منطقي، مـردّه أننـا لسـنا مـن نفس النسـيج الحضاري الذي أنجب شـارلي شـابلن، الذي تحتفل أوروبـا والعالم هذه الأيام بذكرى ميلاده.

ثم إن الأمر لا ينفصل عن ميثيولوجيا كاملـة، إذا علمنـا أن البداية التاريخية للكوميديا كانت لـدى الإغريق، الأجداد الشرعيين لفن التمثيل منذ فجر التاريخ، وذلك في أعياد الإله "ديونيسـوس" إله الخصـب والخمـر، أثناء مواسـم نقل فاكهة العنـب المسـماة بـ"الكوميديا" والتـي يوضـع تفلهـا علـى الوجـوه في طقـوس احتفاليـة تعـجّ بالضحك والسـخرية، أمـا في مواسـم الحصاد فيمـوت الإله مـع الثمر ويعلـن الحزن والحداد المعروف بـ"التراجيديا".

وبصـرف النظـر عـن عـدم علاقة التاريـخ العربـي بـ"أرسـتوفانيس" اليونانـي و"تتيينـوس ماكيـوس بلاوتـوس" الرومانـي (يقـال إنـه من أصول قرطاجية تونسـية)، فإن لا شيء يجعـل العرب ينظرون بهذا الاسـتعلاء غيـر المبرّر لفن الكوميديـا الذي أطلق اسـمه على فن التمثيـل، بدليل أن كلمة "كوميديـان" تعني الممثـل في المطلق، وبعيدا عن النمط الذي يقدّمه كما هو في مصر التي اسـتفادت من فنون التمثيل الأوروبية عصـر نهضتها في ثلاثينات القرن الماضي.

### حضور شحيح

بالعـودة إلـى كوميديـا رمضـان هذا العـام، فإن أبـرز الملاحظات التي تسـجّل في هذا الإطار، كونها شحيحة العدد، نكرة الأسماء وباهتة المواضيع، فباسـتثناء السـعودي ناصر القصبي ومسلسـله "ممنـوع التجـول"، غابت قامـات وازنة فـي المشـهد الكوميدي العربي.

وحتى مصـر التي ظلت تقود قاطرة الكوميديا لعقـود طويلة، فـإن المطلع على "ريبرتوار" هذا الموسـم، يكتشف أنه باسـتثناء مسلسـل "نجيـب زاهي زركش" الـذي أدّى البطولـة فيه يحيى الفخرانـي، وتـدور أحداثـه حول رجل أعمـال غنـي يدخـل أولاده فـي صراع مسـتمر معه طـوال حلقات المسلسـل حتـى يأخذوا ميراثه وأمواله وهو حي، توجد أعمـال قليلة لأسـماء غير مقنعة في عالم الكوميديا كمصطفى قمر، الذي يجسّـد دور صاحب فندق في مسلسـل "فارس بلا جواز".

وهنـاك أعمال إمّا تزعـم الكوميديا لمجـرد الاتـكاء علـى مفارقـات لفظية مثل محمد فراج الذي حل ضيف شـرف في مسلسـل "خلي بالك مـن زيزي" مع أمينـة خليل، وإمـا تمـزج بينها وبين الاسـتعراض مسـتفيدة مـن "التوريث العائلي" مثل "عالم موازي"، الذي تقوم ببطولته دنيا سمير غانم.

هذا عن مصر التي فقدت إشـعاعها الكوميدي التقليدي، أما عن سـوريا فلا شـيء باسـتثناء عودة ياسـر العظمة، نجـم "مرايا" في عمـل جديد لم تتحقّق له المنافسة في رمضان الحالي لأسباب تقنية.

الأمر بائس فـي الكوميديا اللبنانية التـي تحـاول الاسـتفادة مـن الوجوه النسائية فتضيع البوصلة.

الإنتـاج الكوميدي التونسـي لهذا العـام خـرق القاعدة، واسـتند لعملين هما "ابن خلـدون" و"كان يا ماكانش"، مسـتفيدا مـن أسـماء شـبابية لمعت فـي عالم المسـرح والمشـاهد النقدية فـي بلاتوهـات القنـوات التلفزيونية المتنافسـة، وسـط منـاخ اسـتثنائي من الحريـات. منتجـا هذيـن العملين أدركا بحـس مسـبق أن المتفـرّج بـدا متمسـكا بالأعمـال المحليـة أكثـر من أي وقـت مضـى، فقدّمـا وجبتيـن من الكوميديا الناقدة للأوضاع السياسـية والاجتماعية، ونجحا في ذلك أيما نجاح وقد أدركا ما يطلبه الجمهور في ظل هذه الظروف الاستثنائية.

لا بد من تسـجيل ملاحظات تخصّ الكوميديا فـي العالم العربي هذا العام، وعلـى غاية فـي الأهمية، أساسـها أن بعض القائمين على إنتاج المسلسـلات الكوميديـة، يعتبرونهـا غيـر مكلفـة، مقارنـة بالأعمال الدراميـة الاجتماعية والبوليسية، وكذلك الملحميات الوطنية التـي تتطلب مجاميع ومعـدات وتعدّدا فـي أماكـن التصويـر، بالإضافـة إلى الأجور الباهظة للممثلين النجوم.

وبسـبب هـذا الاستسـهال ظهرت أعمـال ضعيفـة وسـطحية يسـودها التهريـج، لذلـك ازدراها النقـاد –وهم محقون هذه المرة– لكنهم عمّموا الحكم فوقعوا في هذه النزعة الاستعلائية التي ظلمت الكثير من الأعمال.

كتّـاب الكوميديا فـي العالم العربي قليلو العـدد، ويكتبون بغـزارة يختلط فيهـا الغـث بالسـمين فيقعـون فـي الإسـفاف والتهريج تاركين المسؤولية علـى الممثـل وارتجالاتـه، ضانين أن مهمتـه تعبئة الفـراغ، وذلك على عكس الدرامـا الاجتماعيـة التي تهتـم أكثر بالحوارات وانتقاء المواقف والمشاهد.

وفـوق هذا كله، كـرّس العاملون في الكوميديـا العربية نمطـا لممثلي هذا الفن، وذلك باعتماد أشـكال غير مألوفة فيزيولوجيـا، أي لممثليـن لا يمتلكون المواصفات التقليديـة المعتادة لنجوم الدرامـا، حتـى سـقط الكثيـر منهـم فـي المحظـور، وصـاروا يسـتعينون بـذوي الاحتياجات الخاصة اسـتجداء للإضحـاك الرخيـص، والأمثلـة عديدة حتى لدى ممّن يقدّمون أنفسـهم كنجوم كوميديا.

أمـر آخـر فـي غايـة الحساسـية ويتطلب الدراسـة الأكاديميـة العميقة بغية معالجته جذريا، وهو السؤال عمّا يضحك الإنسان العربي، وكيفية الارتقاء بالذائقة الكوميديـة عملا بمقولة "كيف تضحك وما يضحكك.. أقل لك من أنت".

وأخيـرا لا ينبغـي أن ننسـى بـأن الثقافة السـائدة في مجتمعاتنا تزدري الضحك وتصنفه في خانة الميوعة وقلة الأدب، فالأجدر بالإنسـان المثالي عندنا أن يكون عبوسا قمطريرا، وميالا للحزن والانكسار.

# الكوميديا الخليجية.. وفرة في الإنتاج وضعف في المحتوى

المتتبـع لخارطة الدراما الخليجية خلال شـهر رمضان هـذا العام يلحظ تزايـدا في كم الأعمال الكوميدية مقارنة بالإنتاجات العربية الأخرى. فمن بين أكثر من ثلاثين عملا دراميا خليجيا نجد أن ما يقارب النصف تقريبا هي أعمال كوميدية أو تميل إلى الكوميديا.

ناهد خزام
كاتبة مصرية

لم تشهد الأعمال الكوميدية الخليجية في الموسـم الرمضاني الحالـي الكثير مـن المفاجـآت، فأغلبها قـد اعتمد على المفارقة أو الإفيه الضاحك والقليل منها تبنى كوميديا على الموقف.

ولـم تخل هـذه الأعمـال بالطبع من السـقطات والهفـوات التـي وصلت إلى حد اسـتدراج المواقف بشـكل سـطحي ومفتعـل، كمـا اتسـمت بالتفـاوت فـي المستوى، ومنها أيضا ما أثار الجدل من حوله بعد بداية عرضه مُباشرة.

ومـن بين هـذه الأعمال يبـرز النجم السـعودي ناصر القصبي الذي أطل على جمهوره هذا العام عبر مسلسـل "ممنوع التجول" للمخـرج أوس الشـرقي، وهو عبـارة عـن حلقـات منفصلة لـكل منها قصة مسـتقلة عن الأخـرى. وكعادته في أعماله السـابقة لا يفوّت القصبي فرصة تنـاول العديد من التقاليد والسـلوكيات الاجتماعية بالنقد الساخر. والجديد هنا أن حلقات المسلسـل جميعها مستوحاة من فترة العزل التي فرضها وباء كورونا، إذ تتّخـذ مـن أجـواء الحظـر منطلقـا لسياقها الفكاهي.

وكعـادة القصبـي تحـوّل عملـه مع عـرض حلقته الثانية إلى مادة للسـجال على وسـائل التواصـل الاجتماعي. أما سـبب هـذا السـجال فـكان واحـدا من المشـاهد التي تضمنتهـا الحلقة، وفيه يلجأ القصبي مـع إخوته إلى وضع جثة والدهم المتوفى فـي ثلاجة البيت، حتى تمرّ أيام الحظر ويسـتطيعوا إقامة عزاء يليق به.

ومـا إن عُرضت الحلقة حتى انتشـر المقطـع بيـن رواد وسـائل التواصـل الاجتماعي في السـعودية مـع تعليقات مسـتهجنة لهذا الفعل، إذ اعتبر البعض أنه يتعرّض بسـخرية غيـر لائقة لجلال الموت، كما يشـي أيضا بعـدم الاحترام للآباء، حتى أن عضوة مجلس الشـورى السـعودي كوثـر الأربـش عبّـرت عبـر صفحتهـا عن غضبهـا مهاجمة القصبي ومسلسله ومعتبرة أنه يقدّم نموذجا غير لائق للمجتمع السعودي.

ولم يقتصر السـجال حـول الأعمال الدراميـة علـى المحتـوى الدرامـي بل تخطاه إلى تتر العمل نفسـه، فبعيدا عن مسلسـل ناصر القصبي حظي المسلسل الكوميـدي الكويتـي "شـليوي نـاش" بهجوم مشـابه بعد أن تسـبّب خطأ غير مقصود فـي إغفال وضع أسـماء أبطاله البارزين على تتر العمل، وبينهم أسـماء لامعة مثل عبدالله السـدحان وعبدالإمام عبدالله ويعقوب عبدالله.

وبعيدا عن هذا الخطأ غير المقصود نجـح المسلسـل خـلال حلقاتـه الأولى في جذب انتباه الجمهـور الخليجي لما يتضمنه مـن مفارقات كوميدية تتولد من صميـم المعاناة والآلام بين شـخصيتيه الرئيسيتين: "شليويح" حارس المدرسة الفقير و"ناشي" سائق الشاحنة البسيط اللـذان جمعتهما صداقة اسـتثنائية في حقبة السبعينات من القرن الماضي.

ولم يخل الموسـم الرمضاني الحالي من المفاجآت أيضا، إحدى هذه المفاجآت تتمثل في عودة المخرج السعودي محمد دحام الشـمري إلى ساحة الكوميديا مرة أخرى بعـد انقطاعه عنهـا قرابة الثلاث سـنوات قدّم خلالهـا عددا مـن الأعمال الخليجية ذات الطابع الإجتماعي الجاد، بينهـا أعمال لاقت نجاحـا ملحوظا مثل مسلسـل "غصـون فـي الوحـل"، و"لا موسـيقى في الأحمدي"، و"صوف تحت الحريـر"، وهـو يشـارك هذا الموسـم بعملين اثنين هما "سـتوديو 21" و"سما عالية".

والمسلسـل الأول إنتـاج سـعودي وتـدور أحداثه في إطـار كوميدي داخل أروقـة إحـدى القنـوات الفضائية حول مالك قناة فضائية يحاول إنقاذ قناته من الإفلاس عبر العديد من الطرق والأساليب الملتوية التي تأتي عادة بنتائج عكسية. أمـا العمـل الثاني فهـو إنتـاج كويتي وتنطلـق أحداثه في قالـب درامي بداية من سـتينات القرن الماضي حتى الوقت الحاضـر متتبعـا الكثير مـن التحوّلات التي مرّ بها المجتمع الكويتي.

ونبقى مع الكوميديا السـعودية من خلال مسلسـل "ربع نجمة" الذي يتولى خلاله الفنان السـعودي طـارق الحربي لأول مرة مسـؤولية إدارة الإنتاج. وتدور أحـداث العمـل داخل أحد الفنـادق عبر حلقـات منفصلـة متصلـة، تسـتعرض العديد من المواقف الطريفة التي تنشـأ بيـن نزلائـه وموظفيه. والمسلسـل من إخـراج محمـد الحشـكي ويتولى طارق الحربي دور البطولة من خلال تجسـيده شخصيةَ طلال.

> **الكوميديا الخليجية لم تخل من السقطات والهفوات التي وصلت إلى حد استدراج المواقف بشكل سطحي ومفتعل**

ومـن بيـن النجـوم العائديـن إلى أجـواء الكوميديا هذا العـام أيضا يبرز النجم الكويتي داوود حسـين الذي أطل هـذا الموسـم عبر مسلسـل "بـو طار" ويؤدّي فيـه دور عازف فـي فرقة لإحياء الأفراح، حيث تنشـأ منافسـة بين فرقته وفرقة أخرى تحمل الاسـم نفسه تتخللها مجموعة من المفارقات الطريفة.

ويشـهد هذا العـام كذلك اسـتمرار التعـاون بين كل مـن الفنان طارق العلي والمخـرج الكويتي نعمان حسـين للعام الثانـي علـى التوالي بعـد أن قدّما معا العـام الماضي مسلسـلهما الناجح "آل ديسمبر".

ويتعاون الثنائي في رمضان الحالي عبر مسلسـل "غريـب" الذي يـؤدّي فيه طـارق العلي دور عامل بسـيط يسـعى لتحسـين ظروفه المعيشـية بالعمل في بيـت أحد التجـار الكبـار. والعمل يدور في قالب تراثي خلال فترة الخمسـينات والسـتينات، ويعتمد في جانب كبير منه على كوميديا الموقف.

وتأتـي الدرامـا الإماراتيـة بأربعـة أعمـال، بينهـا مسلسـل "عـلاء الدين" الـذي تـدور أحداثه حـول يوميات رجل خمسـيني يعيش مـع ابنتيه الشـابتين في منطقـة دبي. وكذلك مسلسـل "بنات مسـعود" الذي تدور أحداثـه حول أربع بنات ووالدهـم الذي يرفـض تزويجهنّ كـي لا يطالبـن بحقهنّ فـي الميراث من والدتهـنّ المتوفـاة، فتحصـل صراعات طريفة بين البنات والأب.

«شليوي ناش».. من صميم المعاناة تولد الضحكات